يبق له ابدا ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك
ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد والمعنى
جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل وعن
ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت
ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد وقيل
الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث
هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم
في الدنيا والاخرة وقال الزجاج اي شيء ينشئه ابليس ويعيده
فجعله للاستفهام وقيل الشيطان الباطل لانه صاحب الباطل
ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك وحينئذ
يكون مستعرفا وان جعلته من شطن كان منصرفا ولما لم يبق بعد
هذا الا ان يقولوا عنادا انت ضال لست بمجنون ولا كذاب و
لكنك قد عرض تركك ما اضلك عن المحجة قال الله تعالى قل اي
لهولاء المعاندين على سبيل الاستعطاف بما في ذلك من قولك
من الانصاف وتعليم الادب ان ضللت اي عن الطريق على سبيل
الفرض فانما اضل على نفسي اي اثم ضلالي عليها وان اهتديت
فبما اي فاهتدائي انما هو بما يوحي الي ربي اي المحسن الي من
القران والحكمة لا بغيره فلا يمكن فيه ضلال لانه لا حظ للنفس فيه
اصلا فان قيل اين التقابل بين قوله تعالى فانما اضل على نفسي
وقوله تعالى فبما يوحي الي ربي وانما كان يقال فانما اضل على نفسي
وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها وقوله تعالى من اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما
يضل

31

يضل عليها قيل فانما اضل بنفسي اجيب بانهما متقابلان من جهة
المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بسببها لانها الامارة بالسوء وما لها
مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا الحكم عام لكل مكلف وانما امر
رسوله صلى الله عليه وسلم ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل خذ
تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به وفتح
الياء من ربي عند الوصل نافع وابو عمرو والباقون بالسكون
وهم على مراتبهم في المد على اصولهم في الضلال والمد ابتداء بقوله تعالى
انه اي ربي سميع اي لكل ما يقال قريب اي يدرك قول كل ضال
ومهتد وفعله وان اخفاه ولما ابطل تعالى شبههم ختم من صفاته
بما يتقى البطش ممن خالفه عطفا على ولو ترى اذ الظالمون ولو
ترى اي تبصر يا اشرف الخلق اذ فزعوا اي عند الموت او البعث او يوم
بدر وجواب لو محذوف نحو لرايت امرا عظيما فلا فوت اي فتسبب عن ذلك
الفزع انه لا فوت اي لهم منا لانهم في قبضتنا ثم صرح بهم بالبناء
للمفعول بقوله تعالى واخذوا اي عند الفزع من كل من نامره با
خذهم سواء كان قبل الموت ام بعده من مكان قريب اي القبور
او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب وقال الكلبي
من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من ظهر الارض الى بطنها وحيثما
كانوا فهم من الله تعالى قريب لا يفوتونه والعطف على فزعوا او
لا فوت وقالوا اي عند الاخذ ومعاينة الثواب والعقاب امنا به
اي القران الذي قالوا انه افك مفترى او محمد صلى الله عليه وسلم
الذي قالوا انه ساحر وانى اي وكيف ومن اين لهم التناوش اي
تناول الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد اي عن محله فانهم في
الاخرة ومحله في الدنيا ولا يمكن الا برجوعهم الى الدنيا التي هي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)